

تصنيف الأمراض النفسية

(22)

د. سعد الدين العثماني

من الأمور المهمة التي يتساءل عنها الكثير من المواطنين هو كيف يقوم الطبيب بتشخيص الحالات النفسية وكيف يتعرف عليها. كان الأطباء دائما، ومنذ قرون طويلة يبنون تعريفهم على المرض - أي مرض - على أعراض الحالة المرضية، وباجتماع عدد من الأعراض يقررون نوع الحالة.

لكن منذ سنة 1950، قدمت الجمعية الأمريكية للأطباء النفسانيين تصنيفا خاصا بالأمراض النفسية يسمى الدليل التشخيصي الإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM). وطور في طبعات متتالية إلى أن أصبح معتمدا عبر العالم بوصفه دليلا مرجعيا في تشخيص الأمراض النفسية من قبل الأطباء والباحثين وشركات التأمين وشركات الأدوية. ثم صدر التصنيف العالمي الخاص بالأمراض النفسية (ICD) والذي أعدته المنظمة العالمية للصحة. وأضحى معتمدا في طبعاته المختلفة.

وأهمية هذين التصنيفين تظهر في كونهما يعتمدان على معايير تشخيصية وأعراض دقيقة، وفي كثير من الأحيان يشير إلى عدد الأعراض الضرورية وإلى التوازن المطلوب بينها حتى يستطيع المتخصصون والباحثون عبر القارات الخمس أن يحددوا تشخيصا ذا صدقية ووثوقية. وحيثما كانوا يمكنهم فعل ذلك بطريقة متقاربة، ويمكنهم التفاهم بدرجة كبيرة وبشكل غير مسبوق في التاريخ.

ونعطي هنا أهم أنواع الاضطرابات النفسية والسلوكية كما حددها تصنيف منظمة الصحة

العالمية في طبعته العاشرة والمسمى ICD 10:

- 1 - الاضطرابات النفسية العضوية، بما فيها الاضطرابات الأعراضية. وتضم مثلا الخرف الذي ينتج عن مرض الألزهايمير أو أمراض الشرايين الدماغية أو غيرهما
- 2 - الاضطرابات النفسية والسلوكية المرتبطة باستخدام المواد المؤثرة نفسيا. وذلك مثل الاستخدام المفرط للكحول والعقاقير التي تؤدي لإثارة الجهاز العصبي أو كبت نشاطه الوظيفي الطبيعي.
- 3 - الفصام والاضطراب الفصامي والاضطرابات الهذيانة
- 4 - اضطرابات المزاج، وتشمل حالات مزاجية مثل اضطراب الهوس أو الاكتئاب
- 5 - اضطرابات العصاب، والاضطرابات المرتبطة بعوامل الضغط، والاضطرابات عضوية الشكل. ويدخل فيه الاضطراب الوسواسي القهري واضطراب الرهاب واضطراب الهلع.
- 6 - متلازمات سلوكية مرتبطة باضطرابات فيزيولوجية أو عوامل عضوية
- 7 - اضطرابات الشخصية والسلوك عند البالغين
- 8 - التخلف العقلي
- 9 - اضطرابات النمو النفسي
- 10 - اضطرابات السلوك والاضطرابات العاطفية التي تظهر عادة في فترتي الطفولة والمراهقة
- 11 - اضطرابات نفسي، دون تحديد

ويضم كل فصل من هذه الفصول الإحدى عشر عددا من الاضطرابات مع تحديد أعراضها، والإشارة إلى الأعراض التفريقية التي تميزها عن الاضطرابات الشبيهة. وهي تضع بالتالي

أمام الطبيب المتخصص جدولاً دقيقاً يساعد على تحديد تشخيص الحالة الماثلة أمامه بدقة وسهولة على العموم.

ويعتبر هذا العمل التصنيفي ذا أهمية بالغة لأسباب عديدة منها:

1 - إن الأطباء والباحثين في حاجة إلى لغة مشتركة للتواصل، بحيث يعني الجميع باسم مرض معين نفس الشيء، ما دام التشخيص مبنياً على معايير محددة تقلل هامش الاختلاف أو الخطأ. وتظهر أهمية ذلك إذا عرفنا أنه من المتعذر في أكثر الحالات إعطاء كل التفاصيل حول حالة المريض، لكن التشخيص وفق تصنيف معتمد يغني عن ذلك غالباً.

2 - حاجة الأطباء المراقبين وشركات التأمين لتوحيد معايير الاضطرابات المشخصة لدى العاملين في الوظائف والشركات ولدى المستفيدين من التأمين، حتى يتحدث الجميع لغة واحدة.

3 - الحاجة إلى اعتماد الأسلوب الوصفي. ففيما عدا الحالات التي لها أسباب معروفة، لم تركز التصنيفات المعتمدة على أي أسباب للاضطرابات أو الأمراض النفسية. وبالتالي فإن تشخيص المرض النفسي يتم حالياً بغض النظر عن أسبابه إلا في حالات قليلة جداً حيث تكون الأسباب ظاهرة ومحددة، مثل أورام الدماغ السرطانية وإدمان المخدرات أو الكحول أو الأعراض الناتجة عن أزمة ذات خطر كبير، مثل حالات الحروب أو الكوارث الطبيعية. أما في غيرها فإن أسباب المرض يصعب تحديدها بدقة، وإن حددت فهي غير ذات تأثير كبير في التشخيص والعلاج.

4 - لقد عرف علاج الحالات النفسية تقدماً كبيراً خلال الأربعين سنة الأخيرة، وذلك بشكل غير مسبق. وهو علاج يعتمد على تشخيص دقيق، ولم يعد من الممكن البناء فقد على حدس الطبيب المعالج.

5 - يستلزم البحث العلمي الاعتماد على مواصفات ومعايير دقيقة وموحدة لتشخيص الحالات، حتى تتسنى المقارنة بين فعالية العلاجات المختلفة للحالات المعنية.